النسق الشعري وبنياته، منطلقات التأسيس المعرفي، والتوظيف المنهجي

■ د. طـــارق ثـــابت
قسم اللـــغة العربية وآدابهـــا
كلية اللغة والأدب العربي والفنون
جامعة باتنة 1
thabettarek@hotmail.com

الملخّص:

إن الاهتمام بمفهوم النسق في الدراسات البنيوية يعود إلى تحول اهتمام التحليل البنيوي عن مفهوم الذات، أو الوعي الفردي من حيث هما مصدر للمعنى، إلى التركيز على أنظمة الشفرات النسقية التي تنزاح فيها الذات عن المركز، وعلى نحو لا تغدو معه للذات أي فاعلية في تشكيل النسق الذي تنتمي إليه، بل تغدو مجرد أداة، ووسيط من وسائطه وأدواته، وفكرة النسق عموما ترتكز على الحصر الشمولي للظاهرة بالتركيز على طبيعة العلاقات المتبادلة بين عناصرها من أجل الوصول إلى هدف محدد، لذا يكتسب مفهوم النسق قيمته داخل البنية في علاقته ببقيّة العناصر أو بموقعه في شبكة العلاقات التي تنتظم العناصر، والتي بها تنهض البنية فتنتج نسقها، فالعنصر لا قيمة لوجوده مفرداً، وإنما في سياق علاقات المنظومة، ومن هنا سوف تبحث هذه المداخلة في علاقة النسق بالبنية، محاولين إيجاد مفهوم للنسق الشعري كمصطلح نقدي وتقنية لا تزال في طور التاسيس.

كلمات مفتاحية: النسق، البنية، النسق الشعري، شبكة العلاقات، الوسائط، العناصر.

Knowledge founding perspectives, Methodical placement and
The poetic coherence and its structure ,

Summary :

The importance given to the meaning of coherence in the structural studies refers to the difference between the importance of the structural analysis and the meaning of the self or the personal consciousness , since they are a source of meaning to the concentration on the orders in which there is a difference between the systematic coherence and the self displacement from the center where no importance of the self in the construction of the coherence ,but it is a simple tool from its tools. the idea of coherence ,in general,

dependence on the limitation of the phenomenon by the concentration on the nature of the exchanged relations between its elements, in order to reach the needed goal that is why the meaning of coherence gets its value in the structure by its relation with the other elements or by its location in the relations that order the elements or by its location in the relations that order the elements, by this the structure makes its coherence ,because the element has no value when alone ,but with the other relations .from this study tends to find a relation between the coherence and the structure trying to find a meaning to the poetic coherence as a critical term still in the process of developing .

Key words: layout, structure, lines of poetry, networking, Modes, elements.

أولا– مفاهيم النسق:

نقصد بها، المفاهيم اللغوية، والاصطلاحية للنسق، لنتمكن من تحديد حدود هذا المصطلح والوقوف على أهمّ خصائصه، ففي المفهوم اللغــوي مفهوم النسق ليس مألوفا في الدراسات التقليدية، نتيجة الطابع التجزيئي، وإهمال العلاقات والروابط القائمة بين العناصر النصية، وإغفال خيوط التشابك بين البنى المختلفة، ذات الدلالة على البنية العميقة؛ ورغم غياب مفهوم للنسق بشكل اصطلاحي فقد عرفت اللغة العربية هذا المصطلح؛ الذي يرجع إلى جذره المعجمي، المتمثل في مادة (ن س ق) وهي مادة معجمية تعني النظام، ومصطلح النسق في اللغة العربية يدل على كل نظام في أي شيء وقد ورد في لسان العرب: " النّسقُ من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد، عام في الأشياء، وقد نسقته تنسيقا، ويخفف /ابن سيده نسق الشيء: ينْسقه نسْقا ونسَّق نظَّمه على السواء، وانْتسق هو وتناسق، والاسم النَّسقُ، وقد انْتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض؛ أي تنسَّقت"[1].

وفي القاموس المحيط" نسَقَ الكلام: عطف بعضه على بعض، والنّسقُ محرّكة ما جاء من الكلام على نظام واحد، ومن الثغور: المُستوية، ومن

الخرز: المنظم... ومن كل شيء: ما كان على طريقة نظام عام... والتنسيق: التّنظيم. وناسق بينهما: تابع، وتناسقت الأشياء، وانتسقت وتنسّقت بعضها إلى بعض: بمعنًى"[2]، أما ابن فارس فيقول معرّفا النسق في مقاييسه :" النون والسين والقاف أصل صحيح يدلّ على تتابع في الشيء وكلام نسق جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعض وأصله قولهم: "ثغر نسق"، إذا كانت الأسنان متناسقة متساوية" [3]، و "من ذلك ما ورد في قول الشاعر:

بجيدِ ريمٍ زانهُ نسقٌ يكادُ يُلهِبُهُ الياقوتُ إلْهابَا

فالنسق الوارد في البيت الشعري، يعني نظام الأسنان المستوية"[4]، وكما يقول (الغذامي) فإن استخدام كلمة (النسق) "يجري كثيرا في الخطاب العام والخاص وتشيع في الكتابات إلى درجة قد تشوه دلالتها، وتبدأ بسيطة كأن تعني، ما كان على نظام واحد، كما في تعريف المعجم الوسيط، وقد تأتي مرادفة لمعنى (البنية – Structure) أو معنى (النظام – System) حسب مصطلح دي سوسير، واجتهد باحثون عرب في تصميم مفهومهم الخاص للنسق"[5].

وفي اللغات الأخرى نجد كلمة système بالفرنسية وكلمة systemبالإنجليزية، حيث اعتمد قاموس أطلس؛ الإنجليزي العربي تعريفا هو:" مجموعة عناصر متفاعلة أو متبادلة العلاقة، أو معتمدة على بعضها البعض، مكونة كلاّ معقدا...منظومة تفاعل منسجم ومنظم"[6]، أما صاحب قاموس المنهل؛ الفرنسي العربي فقد اقترح مقابلsystème الفرنسية:" نظاما ونسقا"[7]، أما في موسوعة(Encarta) الفرنسية فهو:" مجموعة أشياء أو عناصر ذات وظيفة محددة"[8]؛ إذن فالنسق système في المعنى اللغوي العام؛ مفردة تدلل على الاتساق والانتظام والترتيب؛ أي انتظام عناصر الموضوع بترتيب واتساق، وبمعنى آخر فإن النسق يشير إلى أن المفردات

والنشاطات أو العناصر المكونة للمادة أو الموضوع يتصل بعضها ببعض بتوافق وترتيب منتظم يدلُّ على الاتساق والتكامل بنيويا ووظيفيا، ولأن تعبير النسق يتميز بدرجة عالية من الاتساق والترتيب والنظامية؛ فانه يستخدم استخدامات تختلف نسبيا عن استخدامات لفظ النظام، وكما نلاحظ فإن معاني النسق الموجودة في هذه المعاجم لا تعدو أن تكون معانيَ عامة لا تحيلنا على معنى دقيق، ولذا سنحاول أن نقارب مفهوم النسق في الاصطلاح لنقف عن حدوده بشكل دقيق.

أما في المفهوم الاصطلاحي: فيتفق الكثير من الدارسين على أنه" ليس هناك تحديد للنسق متفق عليه."[9]، أما (كمال أبو ديب) فإنه يعترف بأن "مفهوم النسق ودوره في تشكيل بنية العمل الأدبي ما يزال شبه غائب"[10]، وقد شكلت قضية النسق –كمصطلح– جزءا لا بأس به من أعمال العالم اللساني (فيرديناند دي سوسيرFerdinand De Saussure) وبخاصة نظرية النسق اللغوي التي يرى فيها أن النسق هو:" تلك العناصر اللسانية التي تكتسب قيمتها بعلاقاتها فيما بينها، لا مستقلة عن بعضها.."[11]؛ فالنسق بحسب هذا نظام يتكون من عناصر لسانية تنطوي من جهة على استقلال ذاتي، ومن جهة أخرى تشكل كلاً موحداً؛ أي أنها في علاقات تجاور وانسجام وتماسك لكي تعطي الدلالة المقصودة في النص، يجمل بنا أن نشير إلى أن (سوسير) لم يستعمل أبدا، وبأي معنى من المعاني كلمة بنية؛ إذ المفهوم الجوهري في نظره هو مفهوم نسق"[12]، إذن فمفهوم النسق هو مفهوم بنيوي عُرف بأنه: نظام ينطوي على استقلال ذاتي يشكل كلا موحدا، وتقترن كليته بآنية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها، وكان دي سوسير يعني بالنسق شيئا قريبا جدا من مفهوم البنية ، ويرى الكثير من البنيويين؛ أن النسق العام للنص يتشكل في نقطة البداية من الأنساق الكلية، التي هي أنساق نصية؛ بمعنى أن التكوين

الدلالي للنص الأدبي ينطلق من النسق اللغوي الكلي؛ الذي يحتوي على أنساق صغرى وكبرى ناقلة للخطاب، في حين يرى بعض الشكلانيين؛ أن النسق العام للنص يتحرك في اتجاه معاكس؛ أي أن الأنساق الصغرى التي هي أنساق فكرية ونصية ناقلة للخطاب محتواة في النسق العام للنص؛ فالتحليل، إذن، حسبهم، يكون بدءا بالبنية اللغوية وبمجموع علاقاتها التي تنظمها، وبهذا يكون النسق الدلالي العام للنص يمثل مجموع الانساق النصية مع الفكرية، وهذا المفهوم يعزز المبدأ الذي يؤكد من خلاله النقاد العلاقة بين الجزء والكل أو مايسمى بالوحدة العضوية للنص[13]، أما الشكلانيون الروس فيميزون بين النسق الأدبي والنسق التاريخي ويذهبون إلى أن النسق الأدبي"يتميز باستقلالية معينة لأنها إرث الأشكال والمعايير الثقافية المتنوعة.."[14]، وهذه الاستقلالية عندهم هي التي تسمح بالتفكير في مسألة أدبية النصوص، إذن فالنسق هو مفهوم ينطوي على استقلال ذاتي، يشكل كلا موحدا، وتقترن آلية بآنية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها والتركيز على أنظمة الشفرات النسقية التي تنزاح فيها الذات عن المركز، وعلى نحو لا تغدو معه للذات أي فعالية في تشكيل النسق الذي تنتمي إليه، بل تغدو مجرد أداة أو وسيط من وسائطه أو أدواته، ولذلك يرتبط مفهوم (النسق) ارتباطا وثيقا في البنيوية بمفهوم الذات المنزاحة عن المركز، و"يمكن أن يتسع مفهوم البنية التي تفسر نسق الخطاب الأدبي، بكل ما يحتويه من بني وخصوصيات شكلية وجمالية"[15].

فالنسق système إذن هو ذلك الكل المتكامل المنظم والمركب الذي يربط بين عناصر وأجزاء ذات خصائص معينة، هذه العناصر والأجزاء تتداخل مع بعضها البعض في علاقات تبادلية مستمرة بالصورة التي لا يمكن بها عزل أحد هذه العناصر أو الأجزاء عن بعضها، مكونة في مجموعها ذلك

النسق الذي يوجه بدوره ضمن مجموعة من العلاقات التبادلية مع مجموعة أخرى من الأنساق المتصلة به، والتي تكون مجتمعة ما يطلق عليه النسق الأشمل أو الأوسع؛ ومعنى ذلك أن النسق يتكون من أجزاء ذات علاقات أو ذات تعاملات فيما بينها، لذا فإن دراسة أي جزء من أجزاء النسق لا يمكن أن يتم بشكل مستقل عن الأجزاء الأخرى[16]، فهو في أبسط معانيه يعني الارتباط حينما تؤثر مجموعة وحدات وظيفية بعضها في بعض، وهو يتكون من مجموعة من العناصر(أنساق فرعية)؛ التي يرتبط بعضها ببعض، مع وجود مميزات وعلاقة بين كل عنصر وآخر.

ويمكن القول – إجمالا – إن الاهتمام بمفهوم النسق راجع إلى تحول بؤرة اهتمام التحليل البنيوي عن مفهوم " الذات " أو " الوعي الفردي " من حيث هما مصدر للمعنى إلى التركيز على أنظمة الشفرات النسقية التي تنزاح فيها الذات عن المركز وعلى نحو لا تغدو للذات أي فاعلية في تشكيل النسق الذي تنتمي إليه بل تغدو مجرد أداة أو وسيط من وسائطه وأدواته ولذلك يرتبط مفهوم النسق ارتباطا وثيقا في البنيوية بمفهوم الذات المزاحة عن المركز .

ثانيا- في علاقة المصطلح بالعلوم الأخرى: إن للنسق مفهوما واسعا واستخدامات مختلفة تكاد تشمل مختلف العلوم، فضمن **المنظور الفلسفي** نجد أن النسق هو:" مجموعة من العناصر المتداخلة تشكل كلاّ موحدا...والسمة النوعية له هي وجود صلات تَضايُف.."[17]؛ وهذا يعني أن النسق عبارة عن عناصر متجاورة لها خاصية التبادل مع بعضها البعض، تُشكّل فيما بينها نظاما موحدا؛ له خاصية التكامل ويعني هذا أيضا أن " النسق عقلاني، وعقلانيته غير قصدية"[18]؛ بمعنى أن المعاني التي يعطيها النسق هي معان واعية تأتي من خلال علاقات التجاور والتماسك بين أجزاء النص، أما علاقة النسق **بعلم الاجتماع** فهي أوسع وأشمل؛ ففي هذا السياق نجد (لوسيان

غولدمانLucien Goldman) الذي حاول في أبحاثه تحديد العلاقة بين النسق كبنية فكرية داخل النص والنسق الخارجي كنظام اجتماعي؛ وإذا تم عقد مقارنة بين النسق الداخلي النصي، والنسق الخارجي الفكري نحصل على تطابق بين النسقيين يسمى النسق الإيديولوجي، أو مايصطلح عليه في علم الاجتماع الأدبي بـــ(الأنساق النظيرة Système Homologie)، أو بـــ(التماثل البنيوي Homologie Structurelle)[19]؛ وهذا يعني أن لكل بنية اجتماعية أو اقتصادية أو فكرية في المجتمع ما يماثلها في الابداع الأدبي، ويماثل هذا تعريف (تالكوت بارسونزTalkout) النسق بأنه" نظام ينطوي على أفراد فاعلين تتحدد علاقاتهم بمواقفهم وأدوارهم التي تنبع من الرموز المشتركة، والمقررة ثقافيا في إطار هذا النسق، وعلى نحو يغدو معه مفهوم النسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي"[20]، وعلى هذا الاساس فالنسق في علم الاجتماع نظام من القيم مثلما أشار إلى ذلك (بارسونز) بقوله أن "النسق يرتكز على معايير وقيم تشكل مع الفاعليين الآخرين جزءا من بيئة الفاعليين"[21].

إن نظرية الأنساق العامة استطاعت أن تقدم الكثير للعلوم الإنسانية على وجه العموم ولعل الخدمة الاجتماعية كانت أحد هذه العلوم أو التخصصات التي استفادت منها وأصبح الكثير من أفكارها ومفاهيمها يشكل جزءاً من مكونات تخصص الخدمة الاجتماعية، ويعود الفضل في تبلورها كنظرية تخدم الممارسة في الخدمة الاجتماعية على يد (هيرن Hearn) في نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، وقد استطاعت نظرية الأنساق العامة والنظريات المنشقة عنها أن تتبوأ مكانة عالية بين النظريات التي يتم الاعتماد عليها في مهنة الخدمة الاجتماعية فقد قدمت العديد من المفاهيم التي أصبح من الشائع استخدامها في مهنة الخدمة الاجتماعية كمصطلح نسق المساعدة

helping system ونسق العميل client system. كما أنها ساعدت أيضاً في ظهور نماذج نظرية اعتمدت على معطيات ومفاهيم نظرية الأنساق العامة حيث تمثل نماذج العلاج الأُسري family therapy approaches أحد تلك النماذج النظرية المنبثقة من خلال نظرية الأنساق العامة[22]،كما أن استخدام الأنساق في العلوم ممتد الجذور أيضا في الرياضيات التقليدية، وفي الفيزياء وعلوم الفلك؛ فقد أخذ تحليل الأنساق تطبيقه الأول مع اسحاق نيوتن في أواخر القرن السابع عشر في تحليله الرياضي لنظام المجموعة الشمسية وقوانين الجاذبية؛ ومفهوم النسق استخدم بشكل واسع في الحقول العلمية؛ حيث نجده قد استخدم في الحقليين الرياضي والبيولوجي وكذا في الحقل التكنولوجي منذ العقود الأخيرة من القرن الماضي، ويؤكد هذا، ماورد في موسوعة(AMERICANA) العلمية عن تحليل الأنساق حيث هو:"دراسة بنية وسلوك المجموعات متفاعلة العناصر، تلك العناصر وذلك التفاعل خلال المجموعات قد يكون على نحو تجريدي، كما هي الحال في التمثيل الرياضي، وقد يكونان مجسّدين كما هي الحال في النظام الشمسي، ونظام الاتصال، أو في نظام تسيير الاعمال."[23] فتحليل الأنساق إذن هو مفهوم ميزته الأساسية هي التعامل مع القضايا ككل وفي آن وليس أجزاء أو على مراحل، أما في العلوم الفيزيائية والتكنولوجيا؛ فالتطبيقات متطورة لمنهج تحليل الأنساق، وذلك لتوفر قوانين ومناهج رياضية عامة ومحددة؛ جد متطورة للاستغلال في هذه الحقول، أما مجالات الحاسوب والبحوث الفضائية والتخطيط الحضري والهندسة المعمارية والتلوث البيئي والصحة العمومية وغيرها فقد احتلت فيها مفاهيم الأنساق أهمية كبرى[24] .

إن استخدام مفردة النسق تكثر في العلوم الطبيعية والبيئية والإحيائية التي تتميز عناصر مكوناتها بكونها أكثر آلية في حركتها وأكثر اتساقا وترتيبا

systematicمن الحقائق أو العناصر أو الأجزاء في العلوم الإنسانية والاجتماعية التي يكون للإنسان دخل في ترتيب عناصرها أو أجزائها الداخلية، واستنادا لهذه الحقيقة فإن مفردة النسق تستخدم بكثرة في علوم الإنسان (الانثروبولوجيا) وعلم التبيؤ البشري (الايكولوجيا البشرية)، في الوقت الذي يميل فيه المتخصصون في علوم الاجتماع والسياسة والاقتصاد إلى استخدام لفظة النظام في أطروحاتهم انطلاقا من حقيقة مركزية ترى أن الظواهر (البيئية والتبيؤية) وعناصر المجتمعات البسيطة والبدائية التي تتوجه نحوها الدراسات الأنثروبولوجية أكثر اتساقا (systematic) في بناءات ووظائف عناصرها الداخلية من الظواهر التي يتوجه نحوها علم الاجتماع وغيره .

ثالثا–في حضور المصطلح في الدراسات النقدية الحديثة: إذا كان النص هو غاية الغايات في النقد الأدبيــ خصوصاً في مراحله الشكلانية الأخيرة كالبنيوية والأسلوبية والسيميائيةــ فإن النقد الثقافي ينظر إلى النص كمادة خام، بحيث لا يُنظر إليه بمعزل عن الظواهر الأخرى ولا يُقرأ لذاته أو لجمالياته فقط، بل يعامل النص بوصفه حامل نسق وهذا النسق هو الذي يبتغي النقد الثقافي كشفه متوسلاً بالنص في سبيل هذا الكشف، فالنص مجرد وسيلة لاكتشاف حيل الثقافة في تمرير أنساقها، وهذه نقلة نوعية في مهمة العملية النقدية حيث الأنساق هي المراد الوقوف عليها وليس النصوص؛ وبمعنى آخر فإن النقد الثقافي يستخدم أدواته للغوص في لاوعي النص، من أجل الكشف عن المسكوت عنه من الإشكالات الأيديولوجية وأنساق التمثيل وكل ما يمكن تجريده من النص.

وإذا كان (جاكوبسون) قد اكتشف عناصر ستة للنموذج الاتصالي، هي: المرسل، المرسل إليه الرسالة، السياق، الشفرة، أداة الاتصال؛ فإن (عبد الله

الغذامي) يقترح إضافة عنصر سابع هو النسق، لتغدو وظائف الاتصال بعد هذه الإضافة ووفق الترتيب السابق: الوظيفة الذاتية، الوظيفة الإخبارية، الوظيفة المرجعية، الوظيفة المعجمية، الوظيفة التنبيهية الوظيفة الشعرية وأخيراً: الوظيفة النسقية، وذلك على اعتبار أن كل اتصال إنساني يُضمر دلالات نسقية تؤثر في كل مستويات الاستقبال: في الطريقة التي بها نفهم، والطريقة التي بها نُفسّر.

وبهذا يتميز مصطلح النسقــ وفق(الغذامي) بطبيعة دلالية تضاف إلى نوعي الدلالة النصية: الدلالة الصريحة، الدلالة الضمنية، وذلك على اعتبار أن الدلالة الصريحة تحملها الجملة النحوية، والدلالة الضمنية تحملها الجملة الأدبية، أما الدلالة النسقية فهي بحاجة إلى جملة ثقافية.. وهي الجملة التي تشير إلى تضمن الخطاب مضمرات تتدخل في توجيه الأفكار والسلوك، وتنسخ ظاهر الخطاب وتنقضه. وليست هذه المضمرات كلها من إنتاج المؤلف، بل هي إلى جانب ذلك من إنتاج المتلقي والمجتمع، كما أن هذه المضمرات ليست بالضرورة مقصودة في إنتاجها؛ لأنها في الغالب تكون كامنة في اللاوعي، سواء منه الفردي الخاص بالمؤلف والمتلقي أو الجمعي الكامن في طبيعة الثقافة، وطبيعة علاقات الأمة بالمنتج الثقافي عموماً والمنتج اللغوي على وجه الخصوص.

وبهذا يصبح المؤلف مؤلفين: مؤلف فرد له خصوصية شخصية، ومؤلف آخر ذو كيان رمزي هو الثقافة التي تصوغ بأنساقها المهيمنة وعي المؤلف الفرد ولاوعيه على حد سواء. ويمكن قول مثل هذا في المتلقي، باعتباره متأثراً بنفس هذه الأنساق المهيمنة، يقول (الغذامي): " ومن ثمّ فإنه يكتسب عندنا قيما دلالية وسمات اصطلاحية خاصة نحددها فيما يلي: يتحدد النسق عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفية النسقية لا تحدث إلا في

وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر"[25].

وإذا كان النسق الذي هو من إنتاج التاريخ والثقافة، هو المقصود من وراء هذه المادة الخام (النص)، فإن مفهوم النص بهذا المعنى لم يعد يقتصر على ما هو مكتوب، أو الذي تعترف به المؤسسة، بل امتد واتسع إلى اعتبار كل الممارسات الإنسانية نصوصاً ذات دلالات ثقافية خصوصاً الشعبي منها والمهمش بشرط أن يحظى بالانتشار، فـــ"النسق إذن يتحقق بوجود ثابت ينغرس في وجدان المجتمع، ويتغلغل داخل ذاكرته، ولم يلبث أن يسيطر عليها، لأنه ينبني من تراكم أثر في العقل الجماعي ثم الانتشار، وهنا يمتلك القدرة على التحكم في ردود الأفعال، ومن ثم السيطرة والهيمنة على الأفراد، ويصبح النسق لا هم له سوى أن يجعل من قيمه أقنعة لأفكار مثالية توهم الذات بأنها السبيل إلى الحياة"[26].

وإذا كان النقد الجمالي لا يلتفت إلى التاريخ، بوصفه أمراً خارج النص، فإن النقد الثقافي يعتبر التاريخ جنساً من أجناس التعبير، وجسداً نصوصياً واستراتيجية قراءة تعين على فهم وتقييم النص المرغوب تفسيره؛ ذلك لأن النقد الثقافي نظر إلى منتج النص باعتباره بشراً، مثل غيره من الناس، الذين ما زالوا يتعرضون لعملية إخضاع تصوغ طرائق صناعتهم للأحداث، وأهم من ذلك أنها تضعهم في شبكة اجتماعية وفي منظومة علاماتية، تفوق قدرتهم على إدراك فعلها بهم، وتتعالى على سيطرتهم. ولذا لا يكون التاريخ مجرد حقائق وأحداث تقع خارج النص، بل هو علاماتية ألسنية تجعل كل شيء خارج النص مؤثراً في تلقي وإنتاج النص.

إذن فالنص – في النقد الثقافي – ليس معزولاً عن علاقات إنتاجه (التاريخية)، ولا عن نسقه التأثيري (مضمرات الخطاب): فهو فعل إنساني

تاريخي متأثر بالمجتمع، ومؤثر فيه. الأمر الذي يتيح لنا القول بأن علاقة النص – في النقد الثقافي – بالمجتمع، هي علاقة دياليكتيكية منتِجة ومنتَجة في آن: فالنص يشارك في إنتاجه المجتمع، ويشارك هو في إعادة إنتاج المجتمع (القيم والسلوكيات)[27]، وهذا يقتضي إجرائيا أن نقرأ النصوص والأنساق التي تلك صفتها قراءة خاصة...، وبما أنه كذلك فإن الدلالة النسقية فيه سوف تكون هي الأصل النظري للكشف والتأويل، مع التسليم بوجود الدلالات الأخرى، الصريح منها والضمني، والتسليم بالقيمة الفنية وغيرها من القيم النصوصية التي لا تلغيها الدلالة النسقية، وليست بديلا عنها، و"يتخذ النسق (الأصالة) و(القيم) و(التقاليد) لعبة تشويش على الذات ومرجعيتها، فنجد أنفسنا أمام (خرافة) أو (أكذوبة) تسعى إلى تكسير الوعي بالذات وزعزعة ثقتها في إمكانياتها وقدراتها وإلا كيف نتقبل خطابا يتضمن الهيمنة ويدعو إلى عبودية الفرد وينطوي على فردية مطلقة"[28]، ولذا "تبدو الذات في النسق مفتتة، لا تعي هويتها الفردية، لأنها في أثناء بحثها عن هويتها الفردية تصطدم بشبكة الأطر والمعارف الجماعية، فتتأرجح بين الانتماء إلى النسق، أو الانتماء إلى الذات، نسق داخلي: التنظيم الذاتي الذي يشتمل عليه الأثر إلى جانب التفاعلات الموجهة نحو وحداته الذاتية، أي التنظيم الذي ينطوي على اتجاهات وعلاقات الوحدات الشكلية أو اللغوية وعلاقات هذه الوحدات ببعضها ببعض"[29]، وبحسب ما تقدم يمكن تقسيمه إلى نسق خارجي، ونسق أدبي، ثم أخيرا نسق المعرفة؛ فـ"النسق الخارجي نسق كلي يتألف من الأنشطة والمشاعر والتفاعلات الثقافية والفكرية، يوجه نحو البيئة الخارجية، فالنسق الخارجي للأثر الأدبي هو بنية الوسط الذي ظهر فيه، والذي يتلقى منه عدد المؤشرات المباشرة وغير المباشرة وتظهر في طريقة تصوير النص للعالم الخارجي"[30]، أما النسق الأدبي فهو: "نموذج نظري لأدب معين

يتألف من أجزاء مترابطة ويستعمل هذا المصطلح في أغلب الأحيان من قبل المدرسة الشكلية (البنيوية) للتعبير عن وجود تساند وظيفي لأجزاء الأثر الأدبي أو الفكري أو الفلسفي"[31]، وأخيرا نسق المعرفة الذي يعرف بأنه "مجموعة معارف مترابطة يتمسك بها (الناقد) تتعلق بأثر أدبي معين أو آثار أدبية أو فئة من الموضوعات[32].

من خلال ما سبق نستنتج أن النسق بين الظاهر والخفي يحمل معه عدة دلالات تحت غطاء جمالية اللغة، لذلك نحكم أنه خطير من هذه الناحية، وإلا كيف نقتنع بجمالية نص مثلا يحمل أفكارا مناقضة لتوجهاتنا ونحكم عليه بالجمالية من خلال الأسلوب، النسق له فاعلية التأثير من خلال ما يحمله من دلالات وسياسة الإقناع سواء كان الفكر إيجابيا أو سلبيا، وسواء كان ظاهرا أو خفيا.

رابعا- بين البنية والنسق: إن الاهتمام بمفهوم النسق في الدراسات البنيوية يعود إلى" تحول اهتمام التحليل البنيوي عن مفهوم الذات، أو الوعي الفردي من حيث هما مصدر للمعنى، إلى التركيز على أنظمة الشفرات النسقية التي تنزاح فيها الذات عن المركز، وعلى نحو لا تغدو معه للذات أي فاعلية في تشكيل النسق الذي تنتمي إليه، بل تغدو مجرد أداة، ووسيط من وسائطه وأدواته"[33] ونستطيع القول إن البنيوية هي منهج يسعى إلى دراسة النص من حيث هو مجموعة من العناصر المتآلفة فيما بينها دراسة شكلية تهدف إلى تفسير بنيته، وتوضيح المظاهر الفنية والجمالية؛ فـــ(جان بياجه) يقدم لنا تعريفًا للبينة[34] باعتبارها نسقًا[35] من التحولات :" يحتوي على قوانينهِ الخاصةِ، علمًا بأنَّ من شأنِ هذا النسق أن يظلَّ قائمًا ويزدادَ ثراءً بفضلِ الدور الذي تقومُ به هذه التحولاتُ نفسُها، دون أن يكونَ من شأنِ هذه التحولات أن تخرجَ عن حدودِ ذلك النسق أو أن تستعينَ بعناصرَ خارجية،

وبإيجاز فالبنيةُ تتألفُ من ثلاثِ خصائصَ هي: الكليةُ والتحولاتُ والضبط الذاتي"[36]، ويمكن أن يتسع مفهوم البنية التي تفسر نسق الخطاب الأدبي، بكل ما يحتويه من بني وخصوصيات شكلية وجمالية"[37].

إنّ (دوسوسير) لم يستخدم كلمة بنية وإنما استخدم كلمة نسق أو منظومة بنفس المعنى وقد ركز بحثه على تحليل اللغة في بعدها العام (Système)الجمعي باعتبارها نسقا مكتفيا بذاته وقد سعى إلى بنيوية ذات نظام لغوي متزامن حيث إن سياق اللغة لا يقتصر على التطورية بل بتعلق المعاني بعضها ببعض لتؤلف نظاما متزامنا Diachronisme حيث إن هذه العلاقات مترابطة، وكان اهتمامه على القواعد بدلا من التعبيرات وعلى النحو بدلا من الاستعمال والنماذج بدلا من المعطيات والفكرة بدلا من الأداء ولكي يتم تشييد نسق لغوي وآلي تطلب ذلك تعليق التطور التاريخي للغة ودراسة عناصرها المتزامنة في لحظة معطاة والمتعاقب Synchronique فالثنائية المهمة هي التضاد بين المتزامن في دراسة النسق، وتعتبِر البنيوية اللغة نموذجا أساسيا لكل أنظمة الدلالة لا بسبب طبيعة العلامة والنسق فحسب؛ بل لأن الذهن الإنساني ووراءه الكون كله يشتركان في بنية واحدة هي بنية اللغة، فالنص إذن خاضع "لتوجه مزدوج، نحو النسق الدال الذي ينتج ضمنه لسان ولغة مرحلة ومجتمع محدَدين، ونحو السيرورة الاجتماعية ...إن هذه الحالة وهذه الممارسة للغة في النص تخلصه من كل تبعية لبرانية ميتافيزيقية ما ولو كانت مقصودة، وبالتالي من كل نزعة تعبيرية ومن كل غائية وهو ما يعني أيضا التخلص من التطورية، ومن الإلحاق الاستعمالي للنص بتاريخ من دون لسان"[38] فشكلت البنية عند(دوسوسير) مفهوما جوهريا يتمثل في معنى النسق يعني به شيئا قريبا جدا من مفهوم البنية حيث يمكن القول إن الاهتمام بمفهوم النسق راجع إلى تحول

بؤرة اهتمام التحليل البنيوي عن مفهوم الذات أو الوعي الفردي من حيث هما مصدر للمعنى ، ولهذا ركز (دوسوسير) على أمرين مهمين؛ أولهما الإلزام التزامني للغة حال التلفظ بها و عدم الالتفات إلى تاريخيتها حين خرج بالدراسات اللغوية من هيمنة النظرة التاريخية التعاقبية التي تتتبع الظاهرة اللغوية في تطورها التاريخي إلى شمولية النظرة التزامنية أو التوقيتية للغة حيث تتناول جميع المظاهر التي تتصل بأوضاع النظم اللغوية من الوجهة الوصفية وتثبت اللغة في لحظة زمنية لتدرس علاقات أجزائها، ومن ثم يعرف نظامها الحاكم لتطورها و لقواعدها و لبنائها.

أما الأمر الآخر فهو البحث عن العلاقات الكلية التي تترابط بها الأجزاء، دون النظر نحو جزيئات تاريخية بل يكون السعي نحو معرفة النظام الأكبر الذي يأخذ كل الأجزاء لتتجمع فيه كما أنه لا حكم بقيمة ما على أي خطاب بشري من خلال طبيعته الذاتية و إنما في كيفية تركيب عناصره من علاقات توافقية وتخالفية؛ ومنه فقد بحث عن وجود جمعي للغة، فأوقف تتابعها على المحور التاريخي من أجل إجلاء كامنها الأساس خلال المحور التزامني وتبيين قيمتها كونها داخلية في علاقات تثبت لها مجموعة صفات أو هوية تفقدها فور خروجها من نسقها الحاكم لتصبح حرة في دخول أي نسق آخر طالما امتلكت قدرة إقامة علاقات مرغوبة مع عناصره، فباللغة نعرف العالم و بها نبنيه وما نعرفه نحدده باللغة ومن ثم هي الأساس الفاعل المنتج؛ فهي" نظام من الرموز المختلفة التي تشير إلى أفكار مختلفة و هي مجموعة المصطلحات التي تتخذها هيئة المجتمع بأكمله لإتاحة الفرصة أمام الأفراد لممارسة ملكاتهم"[39].

وحين يُعرف(زكريا إبراهيم) مفهوم البنية في كتابه (مشكلة البنية)[40] يقول بأنها "نظام أو نسق من المعقولية"، فهي (صورة) الشيء، و(هيكله)،

و(القانون) الذي يفسر تكوينه والفرنسي (جان بياجيه) ، الذي جعل للبنية ثلاث خصائص لا بد أن تتسم بها: هي الكلية فتتكون البنية من عناصر داخلية خاضعة لقوانين النسق. والتحول؛ وهو سلسلة من التغيرات الباطنة تحدث داخل النسق، والتنظيم الذاتي؛ فتنظم البنية نفسها لتحفظ لها وحدتها، وتساهم في طول بقائها [41]، يقول (جان بياجيه) إن البنية "هي نسق من التحولات له قوانينه الخاصة باعتباره نسقاً" وإن هذه البنية تتسم بخصائص ثلاث: الكلية، والتحولات، والتنظيم الذاتي فالكلية هي تكوين البنية من عناصر داخلية خاضعة للقوانين المميزة للنسق، وليس المهم في البنية هو (العنصر) أو (الكل) الذي يفرض نفسه على العناصر، وإنما هو (العلاقات) القائمة بين هذه العناصر، أو عمليات تكوين (الكل) باعتبار هذا (الكل) مكوناً من تلك العناصر التي تحكمها علاقات و(التحولات) تعني أن هذا (الكل) ينطوي على دينامية ذاتية تتألف من سلسلة من التغيرات الباطنية التي تحدث داخل (النسق) أو(المنظومة)؛ خاضعة في الوقت نفسه لقوانين (البنية) الداخلية، والتنظيم الذاتي هو أنه في وسع هذه (البنيات) تنظيم نفسها بنفسها، مما يحفظ لها وحدتها، ويكفل لها المحافظة على بقائها، ويحقق لها نوعاً من (الانغلاق الذاتي)؛ لكن هذا الانغلاق لا يمنع (البنية) الواحدة من أن تندرج تحت (بنية) أخرى أوسع.

ويمكن تحديد خصائص النسق وفق ما سبق على النحو التالي[42]:

1- كل نسق يتكون من عناصر مشتركة، أو مختلفة بينها علاقة.

2-له حدود مستقرة ومجال معروف(كالنص الشعري مثلا).

3-له بنية داخلية مجردة.

فإذن يكتسب مفهوم النسق قيمته داخل البنية في علاقته ببقيّة العناصر أو بموقعه في شبكة العلاقات التي تنتظم العناصر، والتي بها تنهض البنية فتنتج

نسقها؛ فالعنصر لا قيمة لوجوده مفرداً، وإنما في سياق علاقات المنظومة الأدبية ككل.

خامسا: محاولة لإيجاد مفهوم للنسق الشعري: ترتكز فكرة النسق على الحصر الشمولي للظاهرة بالتركيز على طبيعة العلاقات المتبادلة بين عناصرها من أجل الوصول إلى هدف محدد ومن تعريف(روزاني Rosnay) للنسق بأنه: "مجموعة من العناصر في تفاعل دينامي بينها، منظمة قصد بلوغ هدف"[43] يتبين لنا جوهر مكونات النسق ودور العلاقات بين العناصر في بلوغ الهدف، كما يساعدنا على تعيين العناصر داخل الظاهرة؛ تلك العناصر المترابطة، والمتفاعلة باستمرار، للتعرف على موقع كل عنصر داخل النسق، إضافة إلى أن هذه العناصر يجمعها ويربطها قانون للمحافظة على التوازن الداخلي للوصول إلى الهدف الذي يسعى النسق لتحقيقه، ومن هنا سوف نحاول إيجاد مقاربة معرفية لمفهوم النسق الشعري بالعودة إلى مفاهيم هذا المصطلح في العلوم الأخرى وبخاصة علم النفس وعلم الاجتماع باعتبارهما الأسبق في فهم وتطبيق مفهوم النسق.

أ-مفهوم النسق الشعري: إن النسق الشعري **système poïétique** هو مجموعة مترابطة ومنظمة ومتكاملة من الطرق والوسائل والأدوات والأساليب التي تقوم جميعها من خلال علاقاتها التبادلية بالمهام اللازمة لتحقيق البناء الشعري المتكامل(لغة، صورة، إيقاع ، دلالة)، فهو وحدة تتكون من أجزاء أو وحدات متباينة ومتماسكة معاً(أنساق صغرى)، وكل وحدة معتمدة على الوحدات الأخرى، ومجموع الكل أكبر من الأجزاء المكونة له وأن له خصائصه التي تميزه عن خصائص الأجزاء المكونة له، فالارتباط القائم بين الأجزاء يتولد عنه خصائص تختلف عن خصائص الأجزاء الأساسية؛ واللغة الشعربة مثال على ذلك، حيث أنّ اللغة كنسق تختلف

خصائصها عن خصائص العناصر المكونة لها، وكذلك الصورة الشعرية تختلف عن العناصر المكونة لها؛ لو تم تحليل كل عنصر على أنه نسق قائم بذاته، وإن أن أي تغيير يطرأ في أي جزء من أجزاء النسق يؤثر على بقية أجزاء النسق وعلى النسق ككل، وكذالك أن لكل نسق إطارا مرجعياً محدداً يحدد ماهيته داخل النسق الأكبر لأن" القصيدة عمل منسجم يقوم على تفاعل عناصره المكونة للقصيدة، فالمضمون لا يقوم إلا في اللغة في الدلالات التي تقدمها العلاقات في القصيدة، بمعنى الدلالات القائمة في هذا البناء الذي هو بناء متميز"[44]، والنسق العام يضم كذلك أنساقاً فرعية وكل نسق من هذه الأنساق الفرعية لابد أن تكون له حدوده الواضحة والدقيقة التي تحدد مهامه وأنشطته. وكما بيننا سابقا فإن البنية (Structure) يتسع مفهومها ليشمل الدلالة، يقول (محمد اليوسفي) ــ وهو يوضح مصطلح البنية: "سوف نستعمــل مصطلح " البنية أو الشكل"، ولا نعني به ما يسمى في الخطاب النقدي المتعارف بالمبنى الخارجي، وإنما نعني النص الشعري بكل أبعاده؛ أي لغته وحركاته ونظام علاقاته وأزمنته والرؤية التي يطرحها"[45]، فالبنية والمضمون تتشابك وتتمازج في النص بحيث يكون من الصعب الحديث عن البنية دون أن يكون للدلالة والمضمون انبثاق في الحديث فالنسق الشعري يقوم على تفاعل العناصر المكونة للقصيدة، وكلما كانت الحدود واضحة كلما أدى ذلك إلى مزيد من التخصصية بين أجزاء النسق الواحد.

ب–خصائص النسق: العناصر المكونة للنسق ذات تنظيم معين وتراتب تفاعلي فيما بينها ويمكن تحديد بنية النسق على النحو التالي[46]:

أ–أن كل عناصر النسق ذات ترتيب معين.

ب–أن العناصر متبادلة التفاعل.

بما أن البنية هي ذلك النسق المتكامل الذي يتألف من أصوات وكلمات، ورموز، وصور وموسيقى، ولذلك قيل" التحليل البنيوي يحمل مدلولا مكثفا ومعقدا"[47]؛ من خلال كشف العلاقة المتفاعلة القائمة بين داخل الظاهرة، وخارجها أو الشكل والمضمون اللذان يشكلان أساس التحليل النصي ولتوضيح علاقاته المتشابكة بسائر الأنساق الثقافية والفكرية، وبما أننا ذكرنا سابقا[48] أن مفهوم النسق مفهوم جزئي من مفاهيم البنية بصفة عامة ؛ ومن هنا فإن خصائص الأول هي تقريبا خصائص الثانية.

وإذا كانت البنيوية قد تعاملت مع النص الأدبي من الداخل و تجاوزت المرجعية باعتباره نسقا لغويا داخليا في سكونه و ثباته، ودرسته من خلال مستويات عدة كالمستوى الصرفي والمستوى الدلالي والمستوى التركيبي، والخطاب الشعري حاولت مقاربته مقاربة موضوعية اعتمادا على اللغة ومفاهيمها المجردة من كل ذاتية، إلا أن إقصاءها للتاريخ وذاتية المبدع والمرجع الخارجي و تهميشها لدور الذوق هو إقصاء لأساسيات تقويم النص و تذوق جماله واستكناه متعته الحقيقية ، وأن النص عندها يكشف عن بنية محددة وعن نسق أو مجموعة أنساق وأنظمة وعن طريق القراءة البنيوية يكون التوصل إلى أسرار النص الداخلية في بنياته وعلاقات أنظمته وأنساقه، من هنا فإن خصائصِ البنيةِ هي نفسها خصائص النسق، وهي كما أشار إليها (جان بياجه) في تعريفهِ ثلاثُ خصائصَ كالتالي[49] :

أ- **الكلية أو الشمول:** وتُعني هذه السمة خضوع العناصر التي تُشكِّل النسق لقوانين تُميّز المجموعة كمجموعة، أو الكل ككل واحد، فالنصُّ الأدبي مثلا هو بنية تتكونُ من عناصر، وهذه العناصر تخضعُ لقوانين تركيبيةٍ تتعدى دورَها من حيث هي روابط تراكمية تشد أجزاء الكيان الأدبي بعضَه إلى بعض، فهي تُضفي على الكلِّ خصائصَ مغايرةً لخصائصِ العناصرِ التي

يتألف منها البعض[50]، كما أن هذه الخاصية تُبرزُ لنا أنَّ البنية لا تتألف من عناصرَ خارجية تراكمية مستقلة عن الكل، بل هي تتكونُ من عناصرَ خارجية خاضعة للقوانين المميزةِ للنسق، وليس المهمُّ في النسق العنصر أو الكل بل العلاقات القائمة بين هذه العناصر.

ب-التحولات:أما عن خاصيةِ التحولات، فإنها توضح القانون الداخلي للتغيراتِ داخل النسق التي لا يمكن أن تظل في حالةِ ثبات؛ لأنها دائمة التحول، وتأكيدا لذلك فإنَّ كل نص يحتوي ضمنيًا على نشاطٍ داخلي، يجعل من كل عنصر فيه عُنصرا بانيًا لغيرهِ ومبنيًّا في الوقت ذاته، ولهذا فقد أخذت البنيوية هذه السمةَ بعينِ الاعتبارِ لتُحاصر تحوّل البنية وما قد يعتريها من بعض التغيير[51].

كما أنّ هذه السمةَ تُعبر عن حقيقة هامة في البنيويةِ، وهي أنَّ البنية لا يمكن أن تظل في حالةِ سكون مطلق، بل هي دائما تقبلُ من التغيّرات ما يتضمن مع الحاجات المحددةِ من قِبل علاقاتِ النسق أو تعارضاته، فالأفكارُ التي يحتويها النصُ الأدبيُ مثلاً تُصبح بموجبِ هذا التحولِ سببًا لبزوغِ أفكارٍ جديدة[52].

ج- التنظيم الذاتي: أما عن خاصية التنظيم الذاتي، فإنها تمكّن النسق من تنظيم نفسه كي يحافظ على وَحدته واستمراريته؛ وذلك بخضوعِه لقوانينِ الكل، وهذا يحقق له نوعًا من"الانقلاب الذاتي ونُعني به أن تحولاتِه الداخلية لا تقود إلى أبعد من حدوده، وإنّما تُولّد دائمًا عناصر تنتمي إلى البنيةِ نفسها، وعلى الرغم من انغلاقه؛ فهذا لا يعني أن يندرج ضمن بنية أخرى أوسعَ منه، دون أن يفقد خواصه الذاتية[53]، ولذا فـ(شتراوس) يحددُ البنيةَ بأنها"نسقٌ يتألف من عناصرَ يكون من شأن أي تحول يعرض للواحد منها أن يُحدث تحولا في باقي العناصر الأخرى"[54].

فالعلاقةِ بين الجزء والكل في نظرِ البنيويين، ليست مجرّد اجتماعِ مجموعة من العناصر المستقلة، بل إن هذه العناصر تخضع لقوانين تتحكّم في بناء العلاقة التي تجمع الأجزاء، وتُضفي هذه القوانين على البنية سماتٍ كليّة تختلف عن سماتِ العناصرِ كل منها على حدةٍ، كما تتميز عن مجموع هذه العناصر، فالبنيوية ترى بأن كل الأشياء تشتمل على أنساق من الترابط بين أجزائها، وهذا هو المهم بالنسبة له.

فالعناصر داخل النسق تقوم بمهام متباينة، وما يميز هذه المهام هو عدم تعارضها، فهي تسعى لتنظيم البناء الداخلي للنسق حتى يتم التفاعل بينها، فالخطاب الشعري كنسق يحتوي على عناصر تكونه وتنظم اتساقه، وهي: اللغة ، الإيقاع، الصورة؛ حيث تقوم هذه العناصر كلها[55]؛ بأدوار مختلفة تتجه جميعا نحو تحقيق هدف معين هو تشكيل النص الشعري؛ الذي يكونُ مبثوثا في العلاقات التي تربط العناصر المكونة بعضها ببعض، ومن ثمَّ لا ينبغي الوقوف عند عنصر بمعزل عن الآخر فالتجربة الجمالية تتألف من أجزاء لا تحمل قيمتها في ذاتها منفصلة بعضها عن بعض وإنما في علاقاتها بعضها ببعض وهو ما يشكل وحدة عضوية أو الكل العضوي، فمعنى الجزء منفصلا هو غيره في حال تفاعله مع العناصر الأخرى، ذلك أن كل عنصر من عناصر التجربة الجمالية يتلون بلون جميع العناصر الأخرى[56]، والشكل التالي يوضح هذا:

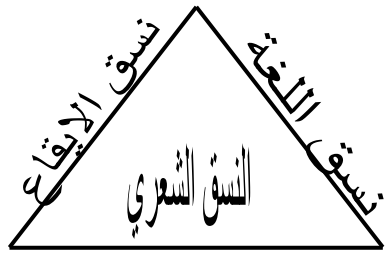

شكل رقم01

فالنص الأدبي بصفة عامة يوصف بأنه نسق عام يتولد عنه نسق شعري ونسق نثري وغيرهما، وهذه الأنساق في علاقتها ببعضها البعض مستقلة ومتفاعلة، لكن إذا ذهبنا إلى النسق الشعري مثلا فأننا نجده يتكون من أنساق فرعية داخلية تتفاعل وتتداخل بينها، أما الإطار الذي يحيط بالنسق (في النص الشعري؛ مثلا بيئة الشاعر، نفسيته...) فيتبادل معه التأثير والتأثر.

وهذه الأنساق الثلاثة متبادلة التفاعل فيما بينها؛ عن طريق محددات الأنساق الفرعية لكل مجموعة مواضيع ؛ فتفاعل نسق اللغة ونسق الإيقاع مثلا؛ المقصود به تنظيم الكلمات وطريقة تأليفها؛ بمعنى صياغة لغويـــة ضمن قوالب إيقاعية محددة عن طريق آلية وضع اللغة وفق نسق إيقاعي معين؛ فقد نظر النقاد إلى الوزن على أنه عنصر هام من عناصر الشعر ودعامة أساسية من دعائمه، فهو"إبراز أو إحداث لفجوة حادة في طبيعة اللغة، خلقٌ لمسافة توتر عميقة بين المكونات اللغوية العائمة في وجودها العادي خارج الشعر ووجودها داخله"[57]، وإن هذا الوجود داخل الشعر هو الذي يمنح هذه المكونات تميزها وبالتالي شعريتها فالوزن بما يشكله من التمايز والمغايرة على صعيد الانتظام في بنيته الصوتية يمنح النص شعريته ويُديم علاقة

وجودية بين الشعر والوزن[58]، مما ينتج عنه ثلاثة أنواع من الأشكال: شكل تقليدي (لغة+نظام عروضي عمودي)، شكل تجديدي (لغة+ نظام عروضي تفعيلي)، شكل حداثي (لغة+ نظام نثري).

أماتفاعل نسق اللغة ونسق الصورة فالمقصود به طريقـــة تشكيل اللغة والصورة ، بعد أن تأخذ طريقة انتظامها وتشابكها في ذاكرة الشاعر ومخيلته، مما ينتج عنها أنساق مواضيع مختلفة تتنج عن مجوعة صور، تنتج كل صورة أو مجموعة صور موضوعا معينا وهو ما يمكن أن نسميه بالأنساق الفرعية المتولدة عن النسق الرئيس.

أماالتفاعل بين الإيقاع والصورة فينتج لنا المعاني المتولدة عن المتخيل الشعري، أو ما يسمى بالدلالة، وهذه العلاقة المتولدة من شعرية النص، وموسيقاه هي علاقة تكاملية نابعة من طبيعة العمل نفسه وانفعالات المنشئ ومن ثم توجهات المتلقي التي تصنع مناطق عديدة للاستجابة مع النص؛ لأن تجربة الشاعر وإحساسه ومرجعيته الثقافية لها دور كبير في بناء و اختيار موسيقى شعره، مثلما كان لها الدور في اختياره لصوره الشعرية وهذه من أهم نقاط الالتقاء بين الإيقاع والصورة فضلاً عن كونهما رافدين من روافد شعرية النص فالشاعر وهو يجوس متاهات لاوعيه"يصبح حين تعتريه لجُج الحالة الشعرية مشحون الذهن بالموسيقى غائصاً في أعماق عدم الوعي بحيث تندمج اللغة في عقله غير الواعي فترفع إلى سطحه عشرات الكلمات المطموسة الأصداء مما رقد قروناً في الذهن الجماعي للأمة "[59]، فالصورة والإيقاع الشعريان إذاً يكمل أحدهما الآخر في عملية صنع العمل الأدبي الذي يكون المعنى جزءاً منه .

خاتمة ونتائج: نصل إلى الاستنتاج مما سبق أن فكرة النسق ترتكز على الحصر الشمولي للظاهرة بالتركيز على طبيعة العلاقات المتبادلة بين

عناصرها من أجل الوصول إلى هدف محدد وإن مفهوم النسق يكتسب قيمته داخل البنية في علاقته ببقيّة العناصر أو بموقعه في شبكة العلاقات التي تنتظم العناصر، والتي بها تنهض البنية فتنتج نسقها؛ فالعنصر لا قيمة لوجوده مفرداً، وإنما في سياق علاقات المنظومة الأدبية ككل، وقد توصلنا إلى أن النسق الشعري **système poïétique** هو مجموعة مترابطة ومنظمة ومتكاملة من الطرق والوسائل والأدوات والأساليب التي تقوم جميعها من خلال علاقاتها التبادلية بالمهام اللازمة لتحقيق البناء الشعري المتكامل (لغة، صورة، إيقاع ، دلالة)، فهو وحدة تتكون من أجزاء أو وحدات متباينة ومتماسكة معاً(أنساق صغرى)، وكل وحدة معتمدة على الوحدات الأخرى، ومجموع الكل أكبر من الأجزاء المكونة له وأن له خصائصه التي تميزه عن خصائص الأجزاء المكونة له وأن فالنص الأدبي بصفة عامة يوصف بأنه نسق عام يتولد عنه نسق شعري ونسق نثري وغيرهما، وأن العناصر المكونة للنسق ذات تنظيم معين وتراتب تفاعلي فيما بينها ويمكن تحديد بنية النسق بأن كل عناصر النسق ذات ترتيب معين،وأن العناصر متبادلة التفاعل.

وهذه الأنساق في علاقتها ببعضها البعض مستقلة ومتفاعلة، لكن إذا ذهبنا إلى النسق الشعري مثلا فأننا نجده يتكون من أنساق فرعية داخلية تتفاعل وتتداخل بينها، أما الإطار الذي يحيط بالنسق(في النص الشعري؛ مثلا بيئة الشاعر، نفسيته...) فيتبادل معه التأثير والتأثر، وهذه الأنساق الثلاثة متبادلة التفاعل فيما بينها؛ عن طريق محددات الأنساق الفرعية لكل مجموعة مواضيع، والنسق الشعري يقوم على تفاعل العناصر المكونة للقصيدة، وكلما كانت الحدود واضحة كلما أدى ذلك إلى مزيد من التخصصية بين أجزاء النسق الواحد.

مصادر ومراجع البحث

أولا-الكتب :

1-إبراهيم مجدي عزيز، موسوعة التدريس، ج.1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان،.2004

2-إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط.1، 2003.

3-ابن فارس أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، مقاييس اللغة، دار صادر، بيروت ، ط.5، مجلد05، 1999.

4-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، مجلد14، 2003.

5-جمال بن حمدان، الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط.1، 2009.

6- زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة،1976.

7-سعيد الغانمي وآخرون، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة.

8-سمير سعيد حجازي، النظرية الأدبية ومصطلحاتها الحديثة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط.1، 2004.

9-سهيل ادريس، المنهل قاموس فرنسي عربي، دار الآداب، بيروت، ط2006.

10-صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط.2، 1980م.

11-طاهر بوغازي، القيم التربوية مقاربة نسقية، دار الحبر، الجزائر،ط.1، 2010.

12-عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، العدد252، سنة.1997

13-عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة، استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2009.

14-عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط.2، 2001، لبنان، بيروت.

15-عز الدين المناصرة، علم الشعريات (قراءة مونتاجية في أدبية الأدب)، دار مجلاوي، عمان، ط.1، 2007م،

16-عمر مهيبل، من النسق إلى الذات قراءة في الفكر الغربي المعاصر، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط.1، .2000

17-فاتح علاق، مفهوم الشعر عند رواد الشعر الحر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2005.

18-فتحي بوخالفة، التجربة الروائية المغاربية دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة، عالم الكتب الحديث، ط.1،أربد، الأردن، .2010

19-فيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.8، ج.3، .2005

20-قاموس أطلس انجليزي عربي، دار أطلس للطباعة والنشر، ط. 1، .2003

21-كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنيوية في الشعر،دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، د.ت.

22-مجموعة مؤلفين، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ترجمة رضوان ظاظا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ، عدد221، 1997.

23-محمد لطفي اليوسفـــــي، في بنية الشعر العربي المعاصر، دار سراس للنشر، تونس، .1985

24- محمد مفتاح، التشابه والاختلاف،المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط.1، 1996.

25-معن خليل عمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق، عمان ، 2006.

26-نازك الملائكة، سيكولوجية الشعر، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1993.

ثانيا –الكتب الأجنبية:

27-The Encyclopédia Americana in1829,Grolier Incorporated, Volime26, International Edition, First published،Systems Analysis.

28- Rosnay, le macroscope vers une vision global, point du seuil, 1975.

ثالثا –الكتب المترجمة

29-إديث كريز ويل،عصر البنيوية، ترجمة جابر عصفور،دار سعاد الصباح ، الكويت،ط.1، 1993.

30-ايان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز غلى هامبرماس، ترجمة محمد حسين غلوم ومراجعة محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد244، .1999
31-بيير زيما، النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع النص الأدبي،ترجمة عايدة لطفي، دار الفكر، القاهرة،ط.1، 1991.
32-جان بياجه، البنيوية، ترجمة: عارف منيمنه وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، ط.4، 1985م.
33-جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب.
34-روبرت شولز، البنيوية في الأدب، ترجمة: حنا عبود، اتحاد الكتاب العرب، 1977م.
35-روزنتال.م.يودين.ي، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط.1، 1974.
36-نيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق، ، ترجمة يوسف فهمي حجازي، منشورات الجمل، ألمانيا، ط.1، 2010.

ثالثا -الرسائل الجامعية

37-محمد الأمين بن الناتي، أطروحة دكتوراه، الثقافة الشنقيطية مقاربة نسقية، إشراف الدكتور محمد مفتاح، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، السنة الجامعية2007-2008.
38-محمد عالي خنفر، نسقية الشعر العربي، أطروحة دكتوراه، إشراف محمد السرغيني، جامعة الحسن الثاني المحمدية، الدار البيضاء، المغرب، ج.1، السنة الجامعية2000-2001.

هوامش البحث:

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، 2003، مجلد14، مادة نسق، ص.165.

[2] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.8، ج.3، مادة نسق، 2005، ص.285.

[3] ابن فارس أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، مقاييس اللغة، دار صادر، بيروت ، ط.5، 1999، المجلّد الخامس ص.420.

[4] محمد عالي خنفر، نسقية الشعر العربي، أطروحة دكتوراه، اشراف محمد السرغيني، جامعة الحسن الثاني المحمدية، الدار البيضاء، المغرب، ج.1، السنة الجامعية2000-2001، ص.440.

[5] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط.2، 2001، لبنان، بيروت، ص.76.

[6] قاموس أطلس انجليزي عربي، دار أطلس للطباعة والنشر، ط. 1، 2003، مادةsystem.

[7] سهيل ادريس، المنهل قاموس فرنسي عربي، دار الآداب، بيروت، ط2006، مادة . Système

[8] نقلا عن: محمد الأمين بن الناتي، أطروحة دكتوراه، الثقافة الشنقيطية مقاربة نسقية، اشراف الدكتور محمد مفتاح، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، السنة الجامعية2007-2008، ص.26.

[9] جمال بن حمدان، الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط.1، 2009، ص.154.

[10] كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنيوية في الشعر،دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، د.ت، ص.108.

[11] عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، العدد252، سنة1997، ص.184.

[12] سعيد الغانمي وآخرون، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، ص.40.

[13] ينظر: عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة-من البنية إلى التفكيك، ص.186.

[14] مجموعة مؤلفين، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ترجمة رضوان ظاظا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ، عدد221، 1997، ص.214.

[15] فتحي بوخالفة، التجربة الروائية المغاربية دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة، عالم الكتب الحديث، ط.1،أربد، الأردن، 2010،ص.568.

[16] إبراهيم مجدي عزيز، موسوعة التدريس، ج.1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان،2004 ، ص.26.

[17] روزنتال.م.يودين.ي، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط.1، 1974، ص.526.

[18] عمر مهيبل،من النسق إلى الذات قراءة في الفكر الغربي المعاصر، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط.1، 2000 ، ص.66.

[19] بيير زيما، النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع النص الأدبي،ترجمة عايدة لطفي، دار الفكر، القاهرة،ط.1، 1991، ص.53.

[20] إديث كريز ويل،عصر البنيوية، ترجمة جابر عصفور،دار سعاد الصباح ، الكويت،ط.1، 1993، ص.411.

[21] نقلا عن: ايان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز غلى هامبرماس، ترجمة محمد حسين غلوم ومراجعة محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد244، 1999، ص.71.

[22] معن خليل عمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق، عمان ، 2006، ص.386.

[23]The Encyclopédia Americana in1829,Grolier Incorporated, Volime26, International Edition, First published،Systems Analysis,pp 198-199.

[24] Ibid,Systems Analysis,pp 198-199.

[25] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص.77.

[26] عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة، استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2009، ص.79.

[27] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية، ص.77.

[28] عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة، ص.79.

[29] سمير سعيد حجازي، النظرية الأدبية ومصطلحاتها الحديثة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط.1، 2004، ص.113.

[30] المرجع السابق، ص.110.

[31] المرجع السابق ، ص.117.

[32] نفسه، ص118.

[33] إديث كريز ويل، عصر البنيوية، ص.415.

[34] حول تعريف جان بياجه للبينة وخصائصها يراجع : جان بياجه، البنيوية، ترجمة: عارف منيمنه وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، ط.4، 1985م، ص.8،
و زكريا إبراهيم، المرجع السابق، ص.3، وصلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط.2، 1980م، ص.187 ، وعز الدين المناصرة، علم الشعريات (قراءة مونتاجية في أدبية الأدب)، دار مجلاوي، عمان، ط.1، 2007م، ص 475.

[35] النسق عند البنيويين: هو نظام ينطوي على استقلال ذاتي، يُشكِّل كُلاً موحّدًا. انظر: إديث كريزويل، عصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور، (مسرد المصطلحات، ص 415)، كما وضّح روبرت شولز مسألة تركيز البنيوي على النسق، انظر: روبرت شولز، البنيوية في الأدب، ترجمة: حنا عبود، اتحاد الكتاب العرب، 1977م .

[36] انظر: جان بياجه، البنيوية، ص. 8.

[37] فتحي بوخالفة، التجربة الروائية المغاربية، دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة، ص.568.

[38] جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، ص.9 .

[39] صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، ط1،1998، ص.20 .

[40] زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة،1976، ص.35.

[41] انظر: جان بياجيه، البنيوية ، ص.8.

[42] ينظر: محمد مفتاح، التشابه والاختلاف،المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط.1، 1996،ص.156.

[43] Rosnay, le macroscope vers une vision global, point du seuil, 1975,p.83

[44] فاتح علاق، مفهوم الشعر عند رواد الشعر الحر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2005، ص.189.

[45] محمد لطفي اليوسفـــــي، في بنية الشعر العربي المعاصر، دار سراس للنشر، تونس، 1985، ص.16.

[46] حاولنا إيجاد مقاربة لهذا المفهوم بالاعتماد على نظرية الأنساق في علمي النفس والاجتماع، ينظر في هذا: الطاهر بوغازي، القيم التربوية مقاربة نسقية، دار الحبر، الجزائر،ط.1، 2010، ونيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق، ، ترجمة يوسف فهمي حجازي، منشورات الجمل، ألمانيا، ط.1، 2010.

[47] عبد المالك مرتاض، النص الأدبي من أين و إلى أين ، ص.5 .

[48] انظر صفحة 36 من المدخل.

[49] جان بياجه، البنيوية، ص.8.

[50] ينظر: إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط.1، 2003، ص. 95.

[51] المرجع السابق، ص.96.

[52] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[53] انظر: إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك ، ص .96.

[54] عز الدين المناصرة، علم الشعريات (قراءة مونتاجية في أدبية الأدب)، دار مجدلاوي، عمان، الطبعة الأولى، 2006م ص.540 وما بعدها

[55] والتي يمكن تسميتها بأنساق صغرى.

[56] ينظر: فاتح علاق، مفهوم الشعر عند رواد الشعر الحر، ص.195.

[57] كمال أبو ديب، في الشعرية، مؤسسة الأبحاث العربية ، ط.1، بيروت.د.ت ص.89.

[58] كمال أبو ديب، في الشعرية ، ص. 90.

[59] نازك الملائكة، سيكولوجية الشعر، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1993 ،ص.10.